تقديم

عن الكتاب

حظي الشعر العربي القديم – قبل ظهور الإسلام وبعده – باهتمام كبير من الدارسين العرب والأجانب منذ أمد بعيد، واختلفت بينهم منازع النظر إليه والبحث فيه، على نحو ما تدل عليه البحوث والدراسات التي صدرت في هذا المجال، وإذا كان لذلك من دلالة فإنها برهان قوي على ثراء هذا التراث الشعري، وامتلاكه لخصائص ذاتية، تمثل نبعًا ثريًّا، يغري بارتياده ودراسته من وجه أو آخر.

وأزعم أن من بين الدراسات التي تستحق الذكر في هذا المقام، الكتاب الذي بين أيدينا؛ فهو كتاب يتوفر على دراسة مجموعة كبيرة من قصائد الشعر العربي القديم، انتقاها أبو زيد بن أبي الخطاب القرشي، الذي عاش – في أرجح الأقوال – بين القرنين الثالث والرابع الهجريين، على اختلاف بين الباحثين والمحققين في تحديد تاريخ مولده وتاريخ وفاته، وسماها: "جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام"، ويبلغ عددها تسعًا وأربعين قصيدة، صنفها إلى سبعة أقسام؛ كل قسم يضم سبع قصائد، وخص كل قسم منها باسم أو وصف خاص؛ لاعتبار رآه مناسبًا، فمنها "السموط" و"المجمهرات" و"المذهبات" و"المنتقيات" ... إلخ.

والواقع أن هذه الدراسة اجتمع لها من المزايا ما يجعلها جديرة بالحفاوة والمتابعة، وهي مزايا ترجع إلى طبيعة المادة الشعرية قيد الدراسة من جهة، وإلى طبيعة المعالجة والتناول التي نهضت بها الدكتورة مديحة السايح من جهة أخرى؛ فبالنظر إلى قصائد كتاب "الجمهرة" موضوع الدراسة، فإنها قصائد موثقة النسبة إلى أصحابها، وليس هناك خلاف حول أي منها، كما لم يلحقها أي نقص أو اضطراب، كما لحق قصائد أخرى من شعر ذلك العصر البعيد؛ ثم إنها ضمت عددًا من القصائد لم يرد ذكرها في مصدر آخر.

وأما فيما يتعلق بطبيعة الدراسة، فقد جاءت رصينة في لغتها، متميزة بمنظورها الذي تبنته لفحص القصائد المختارة؛ من حيث بناؤها بالمعنى الذي تدل عليه كلمة "البناء" في المنظور

التحليلي للتراث النقدي والبلاغي العربي؛ ومن ثم كانت الاستعانة بفكرة العلاقات النحوية وتأثيراتها الدلالية، وبالنظام الموسيقي كما يتجلى في عروض الخليل، والاتكاء على شذرات من الفكر الفلسفي الحديث.

من كل ذلك تشكل مفهوم "البناء" الذي اختارته المؤلفة عنوانًا لكتابها، فاتسعت دلالته لبناء الألفاظ في جملة طويلة، أو جملتين طويلتين، ولبناء "الصورة" بمختلف أنماطها، ولبناء الدلالة، ولبناء الموسيقى بالوزن تارة، وبالقافية تارة أخرى.

المادة الشعرية في كتاب "الجمهرة" صعبة المراس، وتذليلها والدخول إلى عوالمها المشار إليها يحتاج إلى مثابرة ودأب، وقراءة متأنية، وقوة اتصال بالتراث العربي، ولمديحة السايح من كل ذلك نصيب موفور، ولا يهم بعد ذلك أن ليست هناك دراسة سابقة رادت أمامها الطريق؛ فهي ممن لهم رأي وموقف، وتختار ما تهتدي إليه، وتقتنع به، ما دامت ترى له سندًا من الفكر الصحيح الثابت عند أهل العلم الموثوق بهم من المتفقهين للتراث والمحبين للعربية.

لذا أزجي لها التحية والتهنئة بصدور هذا الكتاب.

أ.د/ شفيع السيد

2016/3/1

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي فطر النفوس على الميل إلى كل جميل، ثم جعل الجمال وسره في الضاد. والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي العربي، أفصح الناطقين بجمالها المحيطين بأسرارها. وبعد:

فهذه دراسة تتناول – بالتحليل النقدي – بناء النص في "جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام" لأبي زيدٍ محمد بن أبي الخطاب القرشي، المتوفى أوائل القرن الرابع الهجري.

و"جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام" مجموع شعري له قيمته العلمية؛ باعتباره ثالث المختارات الشعرية قيمة بعد المفضليات (للمفضل بن محمد الضبي، المتوفى 178هـ)، والأصمعيات (لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، المتوفى 216هـ)؛ إذ ضم تسعًا وأربعين قصيدة كاملة من عيون تراثنا الشعري العربي، لثلاثة وعشرين شاعرًا جاهليًّا وستة عشَرَ شاعرًا مخضرمًا وعشْرة شعراء من الإسلاميين، مصنفة تصنيفًا سباعيًّا محكمًا، كما ضم مقدمة نقدية ضافية.

ويتحدد مفهوم البناء في هذه الدراسة بمعناه البسيط، المماثل لمعنى البناء المعماري في تشكله من لبنات وعناصر، تكوِّن أبنية ووحدات يُبنى بعضها فوق بعض، وله طرق لبناء هذه الأبنية، ثم هناك سمات وخصائص لهذه الأبنية، منها: الإحكام والتضافر والاتساق والعلاقة بالسياق المحيط، ثم له بعدُ وظائف حيوية وجمالية. ويستمد هذا المنظور معظم إجراءاته التحليلية من علمي النحو العربي والبلاغة العربية.

وقد كان اختياري هذا المنظور البنائي في التحليل اهتداءً إلى طريق سواء في دراسة النص الأدبي، طال البحث عنه لسنوات بين كثرة من المناهج النقدية المطروحة في ساحة النقد الأدبي العربي، كثرةٍ دالة على فقدان الطريق أكثر من دلالتها على ثراء الرؤى النقدية على الطريق؛ خاصة أن معظم هذه المناهج مستمد من النقد الأدبي الغربي في مفاهيمه النظرية، وإجراءاته التحليلية، وخلفياته المعرفية، دون مراعاة لخصوصية اللغة العربية في ثقافتها وأدبها وطرائق

نظرها، وفي حاجاتها العلمية. وقد كان هذا الوضع النقدي العام ثمرة رحلة نقدنا العربي خلال القرن الماضي كله؛ بحثًا عن منهج أو مناهج لتحليل النص الشعري، فكان أن طال به السعي، وتفرقت به السبل، حتى أدركه الظمأ والرِّي منه قريب.

تتناول الدراسة عينة مختارة من نصوص الجمهرة، بلغت ثلاثة وعشرين نصًّا من نصوصها التسعة والأربعين، كان معيار اختيارها كميًّا، راعى تساوي عدد النصوص المختارة من كل قسم من الأقسام السبعة، معتبرًا معه طول النص، فجاءت النصوص المختارة على النحو التالي:

- من السموط: ثلاثة نصوص، هي: نص الأعشى (100 بيت) - نص لبيد بن ربيعة (89 بيتًا) – نص طرفة بن العبد (126 بيتًا).
- من المجمهرات: ثلاثة نصوص، هي: نص عبيد بن الأبرص (44 بيتًا) – نص بشر بن أبي خازم الأسدي (24 بيتًا) – نص خداش بن زهير (24 بيتًا).
- من المنتقيات: أربعة نصوص، هي: نص المسيب بن علس (14 بيتًا) – نص المرقش الأصغر (17 بيتًا)– نص عروة بن الورد (19 بيتًا) – نص دريد بن الصمة (30 بيتًا).
- من المذهبات: أربعة نصوص، هي: نص مالك بن العجلان (25 بيتًا) – نص قيس بن الخطيم (35 بيتًا) – نص أحيحة بن الجلاح (21 بيتًا) – نص عمرو بن امرئ القيس (16 بيتًا).
- من المراثي: أربعة نصوص، هي: نص أبي ذؤيب الهذلي (67 بيتًا) – نص علقمة ذي جدن الحميري (26 بيتًا) – نص متمم بن نويرة (45 بيتًا) – نص مالك بن الريب التميمي (51 بيتًا).
- من المشوبات: ثلاثة نصوص، هي: نص النابغة الجعدي (76 بيتًا) – نص القطامي (42 بيتًا) – نص الشماخ بن ضرار الذبياني (52 بيتًا).
- من الملحمات: نصان، هما: نص ذي الرمة (162 بيتًا) – نص الطرماح بن حكيم (41 بيتًا). وكان اعتدال القسمة يقتضي زيادة نص من المجمهرات وآخر من الملحمات.

ثم كان اختيار بعض النصوص داخل الأقسام بناء على ذوق شخصي أحيانًا لعلاقة قديمة ببعضها، مثل سمط لبيد بن ربيعة ومشوبة الشماخ بن ضرار الذبياني، أو لغرابة القافية،

مثل ملحمة الطرماح بن حكيم الضادية، أو رغبة في استجلاء صحة حكم نقدي قديم، مثل سمط الأعشى ومجمهرة عبيد بن الأبرص، أو لطرافة الموضوع، مثل لوم الزوجات على كثرة الغارات وإنفاق المال في منتقاة عروة بن الورد، وعلى كثرة البكاء على الأخ المقتول في منتقاة دريد بن الصمة.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد ومدخل وأربعة فصول وخاتمة وجملة من التوصيات.

التمهيد: تناول مصنف الجمهرة، ومحاولات الباحثين تحديد زمانه - كتاب الجمهرة؛ أقسامه السبعة وأسماءها ومعايير ترتيبها، وقيمته العلمية، ثم مقدمته.

المدخل: حددت فيه الدراسة منظورها التحليلي، من خلال تحديد: مفهوم البناء – مصادر استمداد قواعده وإجراءاته التحليلية – مستنده من التراث النقدي والبلاغي - تحريره من المنظورات المشابهة - بعض ثمرات تطبيقه.

الفصل الأول: بناء الألفاظ: يتناول - بالتحليل - بناء الألفاظ في الجمهرة في مستويين من البناء، يمثلان مبحثي هذا الفصل:

الأول: **بناء الجملة الطويلة،** وهي البنية اللفظية الأكبر من بين أبنية الألفاظ في النص الشعري في الجمهرة؛ إذ يمتد طولها - في بعض النصوص - حتى يستغرق النص كله، أو شطرًا كبيرًا منه. ومن ثم يتناول المبحث: طرق إطالة الجملة الطويلة، واتجاهات إطالتها، وخصائص بنائها، وهي: قطع سياق التعدد بجمل مستأنفة، ثم العودة لسياق التعدد، وارتباط الجملة الأطول في النص بأصل المعنى فيه.

والثاني: بناء الجملتين: باعتبارهما معًا وحدة لفظية أصغر من وحدات بناء الألفاظ في النص الشعري، داخلةً - غالبا- في بناء وحدة أكبر من وحدات بناء الألفاظ، هي بناء الجملة الطويلة. ومن ثم يضم هذا المبحث: أنماط العلاقات بين الجملتين - الفصل والوصل البلاغي - صور العلاقات بين الجملتين في نصوص الجمهرة - صور العلاقات بين الجملتين الطويلتين - ثم خصائص عامة لبناء الجملتين في نصوص الجمهرة.

الفصل الثاني: بناء الصورة: يتناول تحليل بناء الصورة في الجمهرة؛ باعتبارها جانبًا من جوانب بناء النص الشعري الأربعة، وذلك من ثلاثة مداخل تمثل مباحث هذا الفصل.

الأول: أنماط الصور وطرق بنائها: ويتكون من: مدخل يتناول مفهوم الصورة وحدودها – اعتبارات تصنيف الصور – رصد تعدد أنماط الصور وطرق بنائها بين: الصورة الحقيقية، الصورة التشبيهية، الصورة المجازية، الكناية. ثم ختامًا يتناول أحد أهم خصائص بناء الصور، وهي تجانس الصور في النص الشعري الواحد.

والثاني: الفروق بين الصور: يحدد أصل فكرة الفروق بين الصور؛ باستمدادها من تعريف علم البيان عند البلاغيين، ومن فكرة المعنى وصورة المعنى عند عبد القاهر الجرجاني. ثم يحلل الفروق بين بعض النماذج، وهي: الفروق بين أنماط الصور ذات المعنى الواحد – الفروق بين طرق بناء الصور ذات المعنى الواحد داخل النمط الواحد، مثل: الفروق بين تشبيهات غزارة البكاء – الفروق بين صور الثيران المشبهات بها المتعددة – الفروق بين صور الكنايات عند شدة الخوف. ثم يقدم المبحث توصية موسعة بحدود تطبيقات الفكرة في الشعر العربي.

والثالث: الصور والنموذج الإدراكي للشاعر العربي: يضم أهمية النموذج الإدراكي في تحليل الصور، وتعريفًا للنموذج الإدراكي والنموذج التحليلي – مادة تحليل النموذج الإدراكي، وهي الصور المختارة، وتضم صور: الأطلال – الظعن الراحلة – سرعة فرس الصيد والحرب – سير المقاتلين متدرعين في الحرب. ثم يحلل المبحث – من خلال هذه الصور – العناصر المكونة للنموذج الإدراكي للشاعر العربي، ثم يستخلص ثلاث سمات للنموذج الإدراكي للشاعر العربي، هي أنه نموذج: مادي / إنساني – تفصيلي – ومعرفي. وتخلص الدراسة – من خلال هذه السمات – إلى أن الأسطورة لم تكن من مكونات النموذج الإدراكي للشاعر العربي، ومن ثم عدم جدوى تفسير الشعر العربي القديم تفسيرًا أسطوريًّا.

الفصل الثالث: بناء الدلالة: ويهدف إلى بيان المكونات الدلالية للنص الشعري في "جمهرة أشعار العرب"، من جهة الكم الذي شكلته المعاني في بناء النص، ومن جهة كيفية بناء هذه المعاني بعضها على بعض في النص؛ في مدخل ومبحثين:

المدخل: يتناول فكرة بناء النص، أنه بناء دلالي في الأساس.

المبحث الأول: أبنية الدلالات: يقسم أنواع هذه الأبنية متدرجة من الأكبر إلى الأصغر إلى: أبنية كلية تشمل الأغراض والفصول الدلالية – أبنية جزئية تشمل المعاني الجزئية – أبنية فرعية تشمل المعاني الفرعية والمتفرعة والهامشية، ممثلًا لكل منها بعدد من النماذج، ومحللًا الخصائص العامة لهذه الأبنية الدلالية.

المبحث الثاني: طرق بناء أبنية الدلالات: يحلل طرق بناء كل نوع من هذه الأبنية الدلالية بعضها على بعض.

الفصل الرابع: بناء الموسيقى: التي تمثل الوعاءَ النغميّ الذي تُصبُّ فيه عناصر البناء الثلاثة؛ الألفاظ والصور والدلالات، متضافرة معه في بناء النص. فهي تحيط بأقطار الكلام كله، من أول النص إلى آخره، ومن صدر الأبيات إلى مستقرها عند القوافي. ومن ثم يضم هذا الفصل مدخلًا وثلاثة مباحث. **المدخل:** يناقش فكرة أن موسيقى النص الشعري بناء.

المبحث الأول: يحلل **البناء الموسيقي الكلي بالوزن**: من خلال ثلاثة أبنية موسيقية كلية، هي: الوزن الشعري – العروض والضرب – أعمدة النغم ومتغيرات النغم.

المبحث الثاني: البناء الموسيقي الكلي بالقافية، ويتناول: تحديد القافية، ودورها في البناء الموسيقي الكلي؛ باعتبارها تنتظم نهايات كل بيت من أبيات النص بنغم ثابت، مبعثه الحركات والسكنات وأصوات الحروف في الكلمات، ثم يقدم خصائص عامة لها في نصوص الجمهرة.

المبحث الثالث: البناء الموسيقي الجزئي: ويتمثل في الأبنية الموسيقية الجزئية التي هي مصادر لتنوع الإيقاع في النص الشعري، في مقابل ثوابت النغم التي تمثلها الأبنية الموسيقية الكلية. واللذان يشكلان معًا البناء الموسيقي للنص الشعري. يقدم المبحث عناصر الموسيقى الجزئية في الرؤية النقدية والبلاغية، وتنسيقًا لمصطلحات الموسيقى الجزئية، ثم نماذج للأبنية الموسيقية الجزئية في نصوص الجمهرة، وهي: موسيقى التراكيب – موسيقى المفردات – موسيقى الحروف.

وبعد ... فلئن كان المسير في هذا العمل قد طال حتى أجهد، فإن منتفِعا به في دراسة شعرنا العربي القديم، وباحثًا عن المنهج يهتدي ببعض ما جاء فيه من طريقة للتحليل، هما حسبي من هذا الجَهد.

أسأل الله القبول والصلاح. وصل اللّهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

د. مديحة جابر السايح

زهراء المعادي

الاثنين، خامس جمادى الآخرة 1437هـ

الرابع عشر من مارس 2016

تمهيد

1- مصنِّف الجمهرة:

هو أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، رجل مجهول، لم يُعرف له من المصنفات سوى هذه الجمهرة، ولم يرد له ذكر في كتب الطبقات والرجال - على ما استظهر د. محمد علي الهاشمي محقق الجمهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فلم يرد له ذكر في كتب تراجم المحَدِّثين ورواة الحديث، ولا في تراجم اللغويين والنحاة، ولا في تراجم الشعراء والأدباء، ولا في تراجم المصنفين وجامعي الدواوين [1].

وقد أحاط الظلام الكثيف – وما زال – بشخصية أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي مصنف الجمهرة، بالرغم من تتابع جهود الدارسين بحثًا عن إضاءات لهذا الظلام الكثيف، والتي استعرضها د. الهاشمي في مقدمة تحقيقه، واستعرضها غيره من الدارسين بعده أيضًا؛ لتحديد زمانه وزمن تأليفه الجمهرة.

وقد اختلفت هذه الجهود اختلافًا كبيرًا في تحديد زمان القرشي، فامتد هذا الاختلاف فيه من سنة 170 هـ حتى أوائل القرن الخامس الهجري، وذلك على الإيجاز التالي:

- **170هـ:** وهو رأى مصطفى صادق الرافعي في "تاريخ آداب العرب – سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة" – بطرس البستاني في "أدباء العرب في الأعصر العباسية" – إسماعيل البغدادي في "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون"، وفي "هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين" – يوسف إليان سركيس في مقدمة "معجم المطبوعات العربية والمعربة" – أحمد أمين في "ضحى الإسلام"[2]. ويرد د. الهاشمي هذا الرأي إلى اعتقاد قائليه - خطأ - أن "المفضل" الذي حدث

(1) انظر: د. محمد علي الهاشمي: مقدمة تحقيق "جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام"، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، دار القلم – دمشق، الطبعة الثالثة، 1419هـ = 1999م، ص13.

(2) انظر: د. محمد علي الهاشمي: مقدمة تحقيق الجمهرة، ج1، ص20-23.

عنه القرشي في المقدمة هو المفضل بن محمد الضبي، والصواب أنه المفضل بن عبد الله بن محمد المُجبَّري شيخ القرشي، ولم يقف له الهاشمي على ترجمة [1].

- **ق 3 الهجري:** وهو رأي د. أمجد الطرابلسي في "نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب" – د. عمر الدقاق في "مصادر التراث العربي"[2].
- **أواسط ق 3 الهجري:** وهو رأي جورجي زيدان في "تاريخ آداب اللغة العربية"[3].
- **أواخر ق 3 الهجري وأوائل القرن 4 الهجري:** المستشرق الفرنسي بلاشير في "تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي" – المستشرق الألماني كارل بروكلمان في "تاريخ الأدب العربي" – د. ناصر الدين الأسد في "مصادر الشعر الجاهلي" – د. شوقي ضيف في "تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي" [4] – د. جهاد المجالي في "طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب"[5] – فؤاد سزكين في "تاريخ التراث العربي – الشعر" [6]. وهذا الرأي هو الذي استظهره د. محمد علي الهاشمي من دراسة الأسانيد التي وردت في مقدمة الجمهرة، ومن ذكر ابن رشيق القيرواني له– وهو أول من ذكر القرشي وجمهرته في كتابه "العمدة". وابن رشيق ولد سنة 390هـ، وتوفي 456هـ أو 463هـ؛ "مما يدل على أن الكتاب ألف قبل عصر ابن رشيق"[7].

(1) انظر: د. محمد علي الهاشمي: مقدمة تحقيق الجمهرة، ج1 ص23، وانظر: ص 111، هامش 1.

(2) انظر: السابق، ص15.

(3) انظر: السابق، ص15. وانظر: د. سليمان الشطي: ثلاث قراءات تراثية، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 2000، ص157.

(4) انظر: د. الهاشمي: مقدمة الجمهرة، ص 15–17، د. سليمان الشطي: ثلاث قراءات تراثية، ص157–158.

(5) انظر: د. جهاد المجالي: طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الجيل – بيروت، مكتبة الرائد العلمية – عمان، الطبعة الأولى، 1412هـ = 1992م، ص64.

(6) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي – الشعر – إلى حوالي 430 هـ، ترجمة وتقديم: د. محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403هـ = 1983م، ص90.

(7) انظر: الهاشمي: المقدمة، ص23–29.

- **ق4 الهجري:** وهو رأى أفرام البستاني في دائرة معارفه [1].
- **الربع الأخير من ق 4 وأوائل ق 5 الهجري:** وهو رأى د. مصطفى جواد في مقاله "مؤلف جمهرة أشعار العرب"، الذي نشر سنة 1960 في مجلة المجمع اللغوي العراقي [2] – د. سليمان الشطي في "ثلاث قراءات تراثية" [3].

ويبدو أن الراجح عند الدارسين المعاصرين أن حياة القرشي كانت في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري.

2- كتاب الجمهرة:

"جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام" مجموع شعري، يضم مقدمة نثرية وتسعًا وأربعين قصيدة من عيون الشعر العربي في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي. اختارها صاحبها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي قصائد كاملة، وصنفها إلى سبعة أقسام، كل قسم سبع قصائد، وسماها "جمهرة أشعار العرب". وهي تسمية توحي بالإدلال بمحتواها الغني بوجوه القصائد العربية في هذه العصور الثلاثة، على عادة العلماء والمؤلفين في تسمية مؤلفاتهم؛ إذ الجمهرة تعني "المجتمَع"، من جمهرت الشيء إذا جمعته [4].

وترجع القيمة العلمية لهذا المختار الشعري إلى عدة أسباب:

أولها: وصلت نسخة الجمهرة إلينا كاملة لم ينقص منها شيء، فهي على ما صنفها صاحبها من تمام[5].

---

(1) انظر: الهاشمي: مقدمة الجمهرة، ص17.

(2) انظر: الهاشمي: مقدمة الجمهرة، ص17-19.

(3) انظر: د. سليمان الشطي: ثلاث قراءات تراثية، ص162.

(4) انظر: ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف. ط3،ج1، ص690. وانظر: مقدمة الهاشمي، ص35.

(5) أشار د. جهاد المجالي إلى النقص الذي لحق بكتب الطبقات التي تناولها بالدرس، وهي: طبقات ابن سلام الجمحي – الشعر والشعراء لابن قتيبة – طبقات الشعراء لابن المعتز، سواء أكان النقص بضياع أجزاء من هذه الكتب، أم بسبب عوادي الزمن من الخروم والثقوب التي لحقت بالنسخ، ولم يشر إلى حدوث مثل ذلك في جمهرة القرشي. انظر: طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب، ص103-104.

الثاني: ضمت الجمهرة تسع قصائد ليس لها ذكر في غيرها من الكتب، هي: مجمهرة خداش بن زهير – مشوبة عمرو بن أحمر – مذهبة عبد الله بن رواحة – مذهبة مالك بن العجلان – مذهبة أحيحة بن الجلاح – منتقاة المسيب بن علس – ملحمة الراعي – مرثية علقمة بن ذي جدن الحميري – ملحمة الكميت [1].

الثالث: مثلت النصوص المختارة في الجمهرة مصدرًا من مصادر الاستشهاد في كتب الأدب والنقد والأخبار، مثل "المعاني الكبير في أبيات المعاني" لابن قتيبة [2]، و"ديوان المعاني" لأبي هلال العسكري [3].

الرابع: التقسيم السباعي المحكم للنصوص المختارة: سبعة أقسام، سبعة نصوص في كل قسم. ويعلل د. الهاشمي هذا التقسيم السباعي بأن القرشي صدر كتابه بالسبع السموط، وهي المعلقات لإعجاب الناس بها، ثم رأى قول شيخه المفضل بن عبد الله: "وإن بعدهن لسبعًا ما هن بدونهن، ولو كنت ملحقا بهن سبعًا لألحقتهن، ولقد تلا أصحابُهن أصحاب الأول، فما قصروا وهن المجمهرات"، فأتبع السموط السبعة بالمجمهرات السبعة، ثم أخذ نفسه بهذا التقسيم السباعي في باقي الكتاب[4].

---

(1) انظر: مقدمة الهاشمي، ص43، ود. جهاد المجالي: طبقات الشعراء، ص 102. وقد ذكر الهاشمي أن هناك إحدى عشرة قصيدة أخرى حفظتها الجمهرة لشعراء ضاعت دواوينهم ولم يوجد شعرهم سوى في كتب اللغة والأدب والاختيار والتاريخ، لكنه لم يذكر أسماء هذه القصائد. انظر: المقدمة، ص43.

(2) الكتاب بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني، المصحح بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن 1368هـ.

(3) طبعة عالم الكتب. انظر مثلًا ما استشهد به على أحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح: ج2، ص58. وأبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه: ج1، ص121-122. وأجود ما قيل في صنعة الرجل الحازم الجلد: ج1، ص 55، كلها استشهد فيها بأبيات من منتقاة دريد بن الصمة. وكذلك كان شعراء الجمهرة عمومًا محل استشهاد بأشعارهم، فعلى سبيل المثال: عقد السيد محمود شكرى الآلوسي فصلًا في كتابه "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب"، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1314هـ، ج 3، ص93، تحت عنوان "في مآثر الشعراء وغرر شعرهم"، أورد فيه أسماء ثلاثين شاعرًا من شعراء الجمهرة. وفي كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، عقد ابن رشيق بابًا للمشاهير من الشعراء، وآخر للمقلين والمغلبين]المغلب الذي لا يزال مغلوبًا، أي يغلبه الشعراء[، ص94، 118، كان معظمهم من شعراء الجمهرة، ومثله جاء في كتاب "الموشح" (مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر) للمرزباني، أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى، ت علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

(4) انظر: مقدمة الهاشمي، ص 37.

ونسبة مقولة "وإن بعدهن لسبعًا ما هن بدونهن ..." إلى المفضل فيه نظر؛ إذ لو كان صحيحًا لكان المفضل هو صاحب التقسيم السباعي وليس القرشي. والسياق الذي وردت فيه هذه المقولة يرجح أنها للقرشي لا لشيخه؛ فقد جاء في مقدمة القرشي تحت عنوان "ذكر طبقات من سمينا منهم":

"وعن المفضل عن أبيه قال: كان أبو عبيدة يقول: أشعر الناس أهل الوبر خاصة، منهم امرؤ القيس وزهير والنابغة ...". قال المفضل: هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط، فمن زعم أن في السبع لغيرهم فقد أبطل وخالف ما اجتمع عليه أهل العلم والمعرفة. ولقد أدركت أكثر أهل العلم ليس بينهم فيهم خلاف"[1]. ثم تأتي مقولة: "وإن بعدهن لسبعًا ما هن بدونهم، ولو كنت ملحقًا بهن سبعًا لألحقتهن. ولقد تلا أصحابُهن أصحاب الأول فما قصروا، وهن ..."[2]. وذكر المجمهرات السبعة، ثم قال بعدها: وأما منتقيات العرب فإن للمسيب بن علس ... وأما المذهبات فللأوس والخزرج خاصة ... وعيون المراثي سبع ... وأما المشوبات فإنهن سبع ... وأما الملحمات فإنهم سبع ... "[3]. قال المفضل: "هذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ونفيس شعر كل رجل منهم"[4].

فالكلام كله بدءًا من قوله: "وإن بعدهن ..." هو للقرشي لا للمفضل؛ لأنه هو الذي قسم الأقسام الستة الباقية. وأما قول المفضل الأخير "هذه التسع والأربعون قصيدة عيون..."، فيبدو أنها كانت تعليقه على صنيع تلميذه القرشي لما عرضها عليه مختارة مقسمة.

أما تسمية الأقسام السبعة – كما فسره د. الهاشمي – فهو على النحو التالي[5]:

(1) مقدمة القرشي للجمهرة، ص219.
(2) السابق، ن ص.
(3) مقدمة القرشي للجمهرة، ص219-220.
(4) مقدمة القرشي للجمهرة، ص220،
(5) انظر: مقدمة الهاشمي، ص 37.

السموط: هي القلائد التي تعلق (*)، والمجمهرات: هي في الأصل النوق القوية المداخلة الخلق كأنها جمهور الرمل. والمنتقيات: أي المختارات. والمذهبات: التي تستحق أن تكتب بماء الذهب، والمشوبات: التي شابها أو شاب أصحابها الكفر والإسلام، والأخيرة أدق؛ لأن من المشوبات – مثل مشوبة الشماخ – ما ليس فيه معانٍ للكفر والإسلام (**)، والملحمات: أي المحكمة المتلاحمة.

وتجدر الإشارة إلى أن تحليل بناء هذه النصوص يؤكد معنى بعض أقسامها، مثل: السموط والمجمهرات والملحمات من الإحكام والتلاحم وقوة النسج.

أما معايير تقسيم وترتيب نصوص الجمهرة، فيلاحظ عليها ما يلي:

أ- تجانس نصوص بعض الأقسام في وجه من وجوه التجانس: فالسموط يجمعها أنها كانت المعلقات، وهي متقدمة في الزمن؛ إذ هي من الشعر الجاهلي، ويجمعها أيضًا إجماع الناس على تقديمها، وإن خالف القرشي في اختيارها؛ إذ لم يجعل فيها معلقة الحارث بن حلزة، وجعل معلقتي عنترة بن شداد وعبيد بن الأبرص من المجمهرات لا السموط؛ ليتسق له التقسيم السباعي. والمذهبات يجمعها أنها لشعراء من الأوس والخزرج خاصة، ففيها تجانس المكان – إذ هم جميعًا من يثرب – وتجانس القبيلة. والمراثي يجمعها وحدة الغرض الشعري، والملحمات يجمعها وحدة الزمن؛ إذ هي جميعًا من العصر الأموي. أما المجمهرات فليس هناك وجه واضح للتجانس بين نصوصها، وكذلك المنتقيات سوى قصرها الظاهر في عدد الأبيات. أما المشوبات فإن خضرمة شعرائها ليست حدًّا يميز القسم عن بقية الأقسام كما سبق.

ب- لم يظهر تحليل بناء النص الشعري لنصوص الجمهرة – في حدود النصوص التي تم

(*) ذكر الأصمعي أن السمط لا يكون إلا وفيه لؤلؤ. أما بدون اللؤلؤ والخرز فهو سلك. انظر: الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص325، هامش 1 في شرح بيت الأعشى 14: "وكأن السموطَ عاكفةُ السلك".

(**) كما تجدر الإشارة إلى أن المخضرمين من الشعراء في الجمهرة ستة عشر شاعرًا، وليس فقط السبعة الذين في قسم المشوبات، مع عشرة إسلاميين وثلاثة وعشرين جاهليًّا، يتم بهم عدد النصوص التسعة والأربعين. انظر: مقدمة الهاشمي، ص35.

اختيارها للتحليل في هذه الدراسة – أية سمات بنائية أو خصائص فنية تميز كل قسم من أقسام الجمهرة، فتكون علة لترتيب النصوص داخل كل قسم، أو ترتيب الأقسام في الجمهرة؛ ومن ثم فليس هناك أساس فني واضح للترتيب في الأقسام أو في النصوص، سوى الملاحظة العامة من اعتبار الترتيب الزمني في الابتداء بالسموط، وهن جاهليات، والانتهاء بالملحمات، وهن أمويات، وسوى إشارة القرشي في المقدمة إلى البدء بالسموط، ثم تليها في القيمة الفنية المجمهرات، وترتيبه أصحاب السموط ترتيبًا فنيًّا على النحو الذي ورد[1].

ج- يلمح تأثر أبي زيد القرشي بابن سلام الجمحي في وضع قسم للمراثي، مخالفًا بذلك – مثلما فعل ابن سلام بمخالفته الكفاءة الفنية أساسًا للتقسيم[2] – الطابع العام لأسماء الأقسام؛ إذ جاءت جميعًا أوصافا على وزن اسم المفعول وليست لفظًا دالًّا على غرض النصوص، عدا السموط الذي لم يخل لفظه من وصف النظام والدقة والإحكام - كما مر. كما تأثر بابن سلام الجمحي بجعل قسم المذهبات خاصًّا بشعراء الأوس والخزرج، وإن لم يسم القسم باسم المكان كما فعل ابن سلام بوضع طبقة شعراء القرى العربية، المدينة ومكة والطائف والبحرين.

وإن كان يلاحظ عمومًا تأثر القرشي بالطابع العام للتأليف العلمي في عصره؛ إذ تميز التأليف العلمي بالنزوع نحو مزيد من التنظيم والتصنيف والتنسيق، بدءًا من القرن الثالث الهجري وما بعده [3].

3- المقدمة النظرية للجمهرة:

يقدم أبو زيد القرشي لمختاره الشعري بمقدمة ضافية، تشكل - بما حوته من موضوعات - السياقَ الثقافي الذي أفرز نصوص الجمهرة وشعراءها. هذا السياق الذي

(1) انظر: مقدمة القرشي، ص 218-219، وهذا الترتيب جاء تحت عنوان "ذكر طبقات من سمينا منهم"، أي من أصحاب السموط.

(2) انظر: د. جهاد المجالي: طبقات الشعراء، ص82.

(3) انظر: د. جهاد المجالي: طبقات الشعراء، ص83.

يتفاعل فيه الديني مع الاجتماعي مع السياسي مع الثقافي، ويتقلب فيه الإنسان في كل أحواله وأطواره، من فقدان الأحبة بالبعد أو الموت، إلى الصراع الدامي حول موارد الحياة وحول القيم، إلى الفرح الإنساني بالوُجْد وبالمجد. والشعر في كل هذا - وفي غيره - يدور حيث تدور الحياة الإنسانية في هذه التقلبات، ممثلًا لا أداة فقط للتعبير عن الحياة؛ بل أداة من أدوات الحياة، تخلق أحداثها حينًا، وتحركها حينًا، وتتجاوزها حينًا.

تحتوي المقدمة على ثلاثة عناصر رئيسة:

الأول: ما يمكن تسميته بـ "المستند الشرعي أو الديني" لهذا المختار الشعري، بالحديث عما وافق القرآن من ألفاظ العرب حروفًا ومعاني وتراكيب ومجازات، وبالحديث عما روي عن النبي ﷺ في الشعر والشعراء، وما قاله الخلفاء الراشدون والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منه وأحكامهم عليه.

الثاني: أسس تصنيف أقسام الجمهرة وترتيب نصوصها، وهو لم يتجاوز - كما سبقت الإشارة - تقديم السموط وإتباعها بالمجمهرات، ثم ترتيب شعراء السموط داخل القسم الأول بناء على أحكام النقاد والعلماء عليهم، خاصة أبا عبيدة معمر بن المثنى النحوي (ت209هـ)[1]، والمفضل شيخ القرشي.

الثالث: ذكر أخبار أصحاب السموط السبعة، بحسب ترتيبهم الذي جاءت عليه نصوصهم، مؤخرًا امرأ القيس؛ ليبدأ به قسم السموط. وتبدو قيمة هذا العنصر في الأحكام النقدية التي احتكم إليها الناس في الحكم بتقدمة كل شاعر منهم، فضلًا عن الأحداث التاريخية التي مثلت السياق التاريخي العام لهذه النصوص.

ويؤخذ على هذه المقدمة النظرية بعد ذلك مأخذان:

الأول: عدم نسْق الموضوعات التي تناولتها في ترتيب واضح أحيانًا، مثل إيراده أشعار الخلفاء الراشدين (ص137-139) بعد إيراد ما وافق القرآن من ألفاظ العرب، ثم حديثه عن ذلك مرة أخرى بعد حديثه عما روي عن النبي ﷺ في الشعر والشعراء (162-163). ومثل

(1) انظر: مقدمة القرشي، ص150، هامش 8.

تأخيره خبر امرئ القيس إلى آخر شعراء السموط؛ ليبدأ به الشعر، وكان يمكنه الالتزام بالترتيب المعتمد عنده ثم البدء بسمط امرئ القيس. ومثل إيراده اختلاف الناس في أي شعراء السموط أشعر وأذكى وأحد (ص163-165) بعد حديثه المطول عما روي عن النبي ﷺ وصحابته في الشعر والشعراء (ص146-163)، وقبل حديثه المطول عن قول الجن الشعر على ألسنة العرب (ص165-186)، ثم حديثه - مرة أخرى - عن اختلاف الناس في أشعر شعراء السموط حين أورد أخبارهم.

الأخير: عدم التحري في النقل؛ إذ يروي عن مجاهيل. وقد حفلت هوامش المحقق د. الهاشمي بأسماء الرواة الذين وصف كلًّا منهم بأنه "غير معروف" أو "راوٍ مجهول"[1]. كما ينسب للنبي ﷺ قولًا هو لابن عباس رضي الله عنهما، وهو قوله عن الشعر: "هو ديوان العرب"[2]. وإيراده حديثًا غير معروف على ما استظهر د. الهاشمي، وهو قوله: "الشعر كلام من كلام العرب جزل، يُتكلم به في نواديها وتسل به الضغائن بينها"[3].

***

(1) انظر - على سبيل المثال - الهامش ص7، 8، ص142، وهامش 3 ص 146، وهامش 8 ص147، وهامش 7 ص150، وهامش 6 ص165، وهامش 2 ص168.

(2) انظر: مقدمة القرشي، ص146 هامش 2.

(3) انظر: مقدمة القرشي، ص147 وهامش 3 ن ص.